

تفسير القرآن الكريم

٩ ١٦-١٢-١ سورة الجن

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا
إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١)

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا
أَحَدًا (٢)

وَ أَنَّهُ تَعَلَّى جُبُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ
صَاحِبَهُ وَ لَأَ وِلَدًا (٣)

وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ
شَطَطًا (٤)

وَ أَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَ
الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥)

وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ
يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)

وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن
يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا (٧)

وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا
مُلَيَّتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهُبًا (٨)

وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ
فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا
رَّصَدًا (٩)

وَإِنَّا لَمَّا نَذَرْنَا أُنشُرُوا أُرِيدَ بِمَنْ
فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
رَشْدًا (١٠)

وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ
ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا (١١)

وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي
الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢)

وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ؕ ءَامَنَّا بِهِ
 فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا
 وَلَا رَهَقًا (١٣)

وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ
فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤)

وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ
حَاطَبًا (١٥)

وَ أَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦)

لَنُقَدِّبَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ
ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)

وَ أَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا

- و قوله (وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) اخبار من الله تعالى عن نفسه.
- و قيل (ان) يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، فيكون محمولا على الوحي، فكأنه قال (اوحى الى أن لو استقاموا) و فصلٍ لو بينها و بين الفعل، كما فصل (السين) و (لا) في قوله (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى) «١» و قوله (أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ) «٢»

• (١) سورة ٧٣ المزمّل آية ٢٠

• (٢) سورة ٢٠ طه آية ٨٩

وَ أَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا

• و يحتمل أن تكون (لو) بمنزلة اللام في قوله (لئن لم ينته المنافقون و الذين في قلوبهم مرض و المرجفون في المدينة لنغرينك بهم) «٣» فيسقط مرة و يلحق أخرى، لان (لو) بمنزلة فعل الشرط، فكما لحقت اللام زائدة قبل (إن) الداخلة على الشرط قبل فعل الشرط، كذلك لحقت (أن) هذه قبل (لو)

• (٣) سورة الأحزاب ٣٣ الأحزاب ٦٠

وَ أَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا

• و معنى «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا» أحد أمرين:

• أحدهما - لو استقاموا على طريقة الهدى بدلالة قوله (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّبِّ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) «٤» و قوله (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِن كَذَّبُوا) «٥».

• (٤) سورة ٥ المائدة آية ٦٩ [.....]

• (٥) سورة ٧ الاعراف آية ٩٥

وَ أَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا

• الثاني - لو استقاموا على طريقة الكفر بدلالة قوله (وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ) «٦»

• (٦) سورة ٤٣ الزخرف آية ٣٣

وَ أَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا

- و قيل: انه دخلت (ان) في (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا) لأنه جواب القسم. و يجوز أن يحذف، كما قال الشاعر:
- فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك و لكن لم نجد لك مدفعا «٧»
- و قال آخر:
- اما و الله إن لو كنت حراً و ما بالحر أنت و لا العتيق «١»
- و الاستقامة الاستمرار في جهة العلو.
- (١) تفسير القرطبي ١٧ / ١٨
- (٧) مر في ٥ / ٥٢٩ و ٦ / ٢٥٣ و ٧ / ٣٤١ و ٩ / ١٢

وَ أَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا

- والمستقيم من الكلام المستمر على طريقة الصواب. و هو نقيض المحال. و الاستقامة على طريق الحق التي يدعو اليها العقل طاعة الله. و المعنى - هاهنا - فى قول أكثر المفسرين: إنه لو استقام العقلاء على طريقة الهدى و استمروا عليها و عملوا بموجبها لجازاهم على ذلك بأن اسقاهم ماء غدقا، يعنى كثيرا. و الغدق بفتح الدال للمصدر، و بكسرها اسم الفاعل، و فى ذلك ترغيب فى الهدى.

وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

• قال الفراء: معناه و أن لو استقاموا على طريقة الكفر لفعلنا بهم ما ذكرناه تغليظاً للمحنة في التكليف، و لذلك قال (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) أي نختبرهم بذلك و نبلوهم به.

• و **غَدَقَ الْمَكَانَ يَغْدُقُ غَدَقًا إِذَا كَثُرَ فِيهِ الْمَاءُ وَ النَّدَى**، و هو غَدَقٌ - في قول الزجاج - و قوله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) معناه لنختبرهم و نعاملهم معاملةً المختبر في شدة التعبد بتكليف الأنصاف عما تدعو شهواتهم اليه، على ما تقتضيه الحكمة في ذلك و **الْفِتْنَةُ الْمَحْنَةُ الشَّدِيدَةُ**، و المثوبة على قدر المشقة في الصبر عما تدعو اليه الشهوة.

وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا

- ثم قال تعالى مهتدياً لهم و متوعداً (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) و المعنى من يعدل عن الفكر فيما يؤديه الى معرفه الله و توحيدهِ و اخلاص عبادته، فالذكر حضور المعنى الدال على المذكور للنفس، و ضده السهو، و مثله حضور المعنى بالقلب. و الفكر فى وجوه السؤال عن المعنى طلب للذكر له. و الفكر فى البرهان طلب للعلم بصحة المعنى المذكور و أنه حق و نقيضه باطل.

وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا

• و قوله «يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا» اي **متصعداً في العظم**. و قيل: متصعداً قد غمره و أطبق عليه. و معناه عذاباً أشهد العذاب من قوله «سَارَهُقَهُ صَعُودًا» «٢» فاما قول العرب: تنفس الصعداء على وزن (فعلاء) أكثر كلامهم، و منه قيل تنفس صعداً على وزن غرب و الصعود العقبة الشاقة.

• و قال الفراء: الصعود صخرة ملساء في النار و يكلف الصعود عليها، فكلما بلغ رأسها أحد هوى الى أسفلها وقوعاً.

• (٢) سورة ٧٤ المدثر آية ١٧

وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا

- قوله تعالى: «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ»:
- «أَنْ» مخففة من الثقيلة، والمراد بالطريقة طريقة الإسلام، والاستقامة عليها لزومها والثبات على ما تقتضيه من الإيمان بالله وآياته.

وَ أَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا

• و الماء الغدق الكثير منه، و لا يبعد أن يستفاد من السياق أن قوله: «لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا» مثل أريد به التوسعة في الرزق، و يؤيده قوله بعده: «لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ».

• و المعنى: و أنه لو استقاموا أى الجن و الإنس على طريقة الإسلام لله لرزقناهم رزقا كثيرا لَنَمْتَحِنَهُمْ فِي رِزْقِهِمْ فَالآيَةُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ»: الأعراف ٩٦.

• و الآية من كلامه تعالى معطوف على قوله في أول السورة: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ» إلخ.

وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا

• قوله تعالى: «وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا» العذاب الصعد هو الذي يتصعد على المعذب و يغلبه، و قيل: هو العذاب الشاق.

• و الإعراض عن ذكر الله لازم عدم الاستقامة على الطريقة و هو الأصل في سلوك العذاب، و لذا وضع موضعه ليدل على السبب الأصلي في دخول النار.

وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا

- وهو الوجه أيضا في الالتفات عن التكلم مع الغير إلى الغيبة في قوله: «ذکر ربّه» و كان مقتضى الظاهر أن يقال: ذكرنا و ذلك أن صفة الربوبية هي المبدأ الأصلي لتعذيب المعرضين عن ذكره تعالى فوضعت موضع ضمير المتكلم مع الغير ليدل على المبدأ الأصلي كما وضع الإعراض عن الذكر موضع عدم الاستقامة ليدل على السبب.
- قيل: و قوله: «يَسْلُكْهُ» مضمن معنى يدخله و لذا عدى إلى المفعول الثاني، و المعنى ظاهر.